دراسة عناصر البناء في رواية عمالقة الشمال لنجيب الكيلاني
(مع نظرة إلى تأريخ كتابة الرواية في الأدب العربيّ المعاصر)

Studying the Story Elements of the Novel "The Heroes of the North"
by Najib Kiliani
(With a look at the history of writing novel in the contemporary Arabic literature)

الدكتور مريم خليلي جهانتيغ

أستاذ في قسم الأدب الفارسي بجامعة سيستان وبلوشستان – إيران

الدكتور محمد بارانی

أستاذ معيد في قسم الأدب الفارسي بجامعة سيستان وبلوشستان – إيران

يعقوب شه بخش

الطالب في مادة الأدب الفارسي بجامعة سيستان وبلوشستان - إيران

Dr. Maryam Khalili Jahantigh
Professor of Persian Language and Literature Department,
)University of Sistan and Baluchestan . Iran.(corresponding author
khalili@lihu.usb.ac.ir
Dr. Mohammad Barani
Associate Professor of Persian Language and Literature Department,
University of Sistan and Baluchestan – Iran
barani@lihu.usb.ac.ir
Yaqoub Shahbakhsh
M.A.Student of Persian Language and Literature Department,
University of Sistan and Baluchestan – Iran
ya61sh@yahoo.com

خلاصة الدراسة:

إن نشأة الرواية العربية مرتبطة بالأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية في البلاد العربية ولا سيّما مصر. يرى نقّاد الأدب أن بداية كتابة الرواية الأدبية في مصر والعالم العربي كانت سنة ١٩١٣م لمّا طبعت رواية "زينب" لمحمد حسين هيكل. نجيب الكيلاني شاعرٌ وناقد أدبي من مصر، وهو روائي مبدع كتب أكثر الروايات العربية الإسلامية.

المقالة التالية تناولت عناصر البنيتين الفوقية والتحتية في رواية عمالقة الشمال بالبحث والتحليل. تكمن أهمية هذا البحث والحاجة إليه في أنّه يوفّر للقارئ أن يطّلع أكثر وأحسن على العالم الفكري للكاتب من خلال التركيز على الموضوعات المطروحة، وأن يدرك جيدا تأثير الظروف السياسية والاجتماعية للزمان على الأثر المذكور. أسلوب البحث توصيفيٌ – تحليلي استخدمت فيه الوسائل والمصادر المكتبية، وحاولنا فيه أن نجيب على السؤال الأصلي والكلّي التالي: ما هي مكانة رواية عمالقة الشمال لنجيب الكيلاني في العالم الإسلامي من جهة البنية الفوقية والتحتية؟

تشير نتائج البحث إلى أن الكاتب استخدم زاوية رؤية الشخص الأوّل، حيث يبدأ الرواية بتعريف عثمان أمينو الشخصية الأصلية للقصة من لسانه، ثم يمرّ الشطر الرئيسي من الرواية في السجن. موضوع الرواية مقاومة مسلمي نيجريا خلال سنوات ١٩٦٥ إلى١٩٧٠م ضدّ مؤامرات المستعمرين الصهاينة والصليبيين عليهم.

وبالإضافة إلى الفكرة السياسية، تشتمل رواية عمالقة الشمال على الفكرة الأخلاقية أيضا، حيث يتطرق الكاتب في مواضع عديدة إلى رسائل أخلاقية من ألسنة شخصيات القصة، كما أن الرواية تستغلّ الحبكة المفتوحة، حيث يتغلّب السرد الطبعي للحوادث فيها على التصنّع والتقيّد.

الكلمات الرئيسة : نجيب الكيلاني - عمالقة الشمال – البناء - الرواية - الأدب العربي المعاصر .

مقدمة:

لُقّب نجيب الكيلاني بأب الرواية الإسلامية، وهو الكاتب الروائي العربي الوحيد الذي تخطّى حدود بلاده والعالم العربي، واهتمّ إلى السرد الروائي لأوضاع المسلمين المضطهدين في بلاد نائية كأندونيسيا، وتركستان الشرقية، والروس، ونيجيريا، واتيوبيا. ترجمت آثار الكيلاني إلى اللغات المختلفة في العالم مثل الإيطالية، والإنجليزية، والروسية، والتركية، والبشتو، والأوردية، والفارسية. عمالقة الشمال هو الأثر الرابع لهذا الكاتب المصري المبدع، والذي أقدم على ترجمته إلى اللغة الفارسية محمد علي العسكري، ثمّ ترجمه أخيرا خوشنام احديجيد. صور الكيلاني في هذه الرواية ببيان

رائع مشاهد من بطولات المسلمين شمالي إفريقا أثناء مقاومتهم ضد المستعمرين الغربيين وأذنابهم.

نجيب الكيلاني الطبيب والكاتب والشاعر المصري سنة (١٩٩٥ـ ١٩٣١م.) يعدّ من روّاد الأدب الإسلامي المعاصر. أمضى الكيلاني سنوات عديدة من حياته في السجن، ولأجل هذا تبرز في آثاره روح الثورة ضد الظلم، وتسودها روح المحبة. رواية الطريق الطويل هو أول آثاره التي كتبها في السجن.

الهدف الرئيسي من هذا البحث هو التحقيق المنهجي لعناصر البنية الفوقية والتحتية في رواية عمالقة الشمال للكيلاني حتى نعرّف من هذا المنطلق الكيلاني ـ الذي هو من طلائع الرواية الإسلامية ـ وآثارَه الروائية إلى كافة طلاب الأدب الروائي والراغبين فيه، رجاء أن يظفر شبابنا ذوو القرائح الفطرية بأسوة جديرة لهم في حياتهم من خلال دراسة العناصر الروائية لرواية عمالقة الشمال.

بيان المشكلة وأسئلة البحث:

إنّ آثار نجيب الكيلاني وفقاً لتعبير الشيخ أبوالحسن علي الحسني الندوي أحد الكُتّاب والمفكرين من شبه القارة الهندية «ذخيرة أدبيةٌ»، وإن رواية عمالقة الشمال التي ترجمت إلى اللغة الفارسية بإسم «قهرمانان شمال» من إحدي الروايات الخلابة والآثار الجديرة بالقراءة للدكتور نجيب الكيلاني، تطرق الكيلاني فيها إلى نضال مسلمي نيجيريا ودور علماء الدين، والجوانب الإيجابية في حياة العلماء المعاصرين، وهو مبحث يُعدّ اهتمام الشباب المسلمين به من حاجات الوقت الراهن. عدم معرفة معظم الإيرانيين بهذا الكاتب المصري مشكلة بحثنا هذا.

الأسئلة التي سنحاول الإجابة عنها في هذا البحث ما يلي:

١. من هو نجيب الكيلاني؟ وماهي مكانة آثاره الروائية في العالم الإسلامي؟

٢. ما هي خصائص البنية الفوقية لرواية عمالقة الشمال؟

٣. ما الأفكار والمفاهيم التي تحتوي عليها البنية التحتية لرواية عمالقة الشمال؟

تأريخ البحث والحاجة إليه:

نجيب الكيلاني من الروائيين العرب المسلمين، والذي لم يُعرف في إيران إلا قليلا، وآثاره المترجمة في إيران لا تتجاوز أصابع اليد، ولو بحثنا نجد أنّ أربعة من آثاره ترجمت

إلى الفارسية فحسب، كما أن المقالات والرسائل الجامعية التي تطرقت إلى دراسة آثار الكيلاني قليلة جدا، وكان أكثر كُتّابها إما مشتغلون بالدراسة في مجال اللغة العربية وأدبها وإما بالتدريس فيها، والكلمة الأخيرة أن رواية عمالقة الشمال لم يكن موضوع بحث لأيّ من الباحثين، ونظرا إلى مكانة آثار نجيب الكيلاني في الأدب الإسلامي تبقى الحاجة ماسّة إلى أن يهتمّ بها الناطقون باللغة الفارسية ومحبوها أكثر. بناء على هذه الحاجة، تمّ انتخاب دراسة البنية الفوقية والتحتية للرواية المذكورة لهذا البحث.

الأدب:

«ما هو الأدب؟» لا نستطيع أن نجيب عن هذا السؤال جواباً مانعاً وجامعاً، وهناك آراء مختلفة بين الخبراء والناقدين في تعريف الأدب، وهذه الإختلافات كانت سببا في أن نعجز من تقديم تعريف جامع مانع عن الأدب كسائر فروع الفن، لكن رغم ذلك عُرضت تعريفات متنوعة للأدب:

يقول طه ندا المنظّر والناقد الأدبي المصري في كتابه «الأدب المقارن» في تعريف الأدب: «الأدب في رأيي هو التأثير وكل تأثير يحدث عن طريق اللغة هو الأدب... ولا يشترط في الأدب أن يضيف إلى القارىء علماً جديداً، فإضافة العلم ليس مما يختص به الأدب وحده... الأديب لا يعمل في فراغ وهو محتاج إلى مواد تدخل في صناعته وعمله وهذه المواد هي حقائق العلم في جميع مجالاته ولكنها في النهاية تؤدي به إلى غاية أخرى بعيدة عنها وهذه الغاية البعيدة التي ينتهي إليها أمر كل عمل أدبي هي التأثير... الأدب قوالبه ألفاظ اللغة ووسيلته هو الآخر لجذب القارىء إليه إمتاعه، الاستعانة بالجمال وغايته التأثير في القارىء.» (ندا،١٩٩١: ١١-١٢)

يشير أحمد ترجانيزاده في كتاب تاريخ الأدب العربي إلى نقطة مثيرة للانتباه، حيث يقول: «ليس الأدب ترتيب بعض الجمل والعبارات، وإرداف سلسلة من الألفاظ والأفكار، بل الأدب فنّ يقدر بواسطتها الإنسان أن يبيّن أفكاره وآرائه الصحيحة والمفيدة، ويبلّغ رسالته ببيان جميل رائع وفصيح، لأن الأدب معبّر لشخصية الأديب وصورة من حياته، ووصف لخواطره وأفكاره ومشاعره، وبعبارة أخرى الأدب مرآة شاملة الرؤية من نمط حياة الأفراد والأمم.» (ترجانيزاده، ١٣٤٨: ١-٢)

يكتب جمال ميرصادقي حول هذا في كتابه "الأدب والقصة": «الأدب يطلق على كلّ أثر رائع يتدخّل فيه عامل التخيل ، ويكون مع ذلك له ارتباط مع عالم الواقع» (ميرصادقي،١٣٨٣: ١٦)

تحدث «جان فول سارتر» المنظّر والكاتب الفرنسي في كتابه «ما هو الأدب» عن الأدب الملتزم. يرى سارتر للكاتب رسالة ويقول: «رسالة الكاتب أن يعمل عملاً لا يمكن لأحد أن يبقى جاهلا عن العالم، ولا أن يقدّم نفسه مبرأ منه»(سارتر، ١٣٤٨: ٦٠)

يعتقد السارتر: «أنه لا بد للكاتب أن يكون ملتزماً تماما في آثاره (لكن لا كالإنفعالية الدنيئة للذي يقدّم دناءته وشقاوته ومشكلاته، بل كالإرادة القوية، وكالاختيار الحر، وكالخطوة الجامعة للعيش، تلك الخطوة التي هي جبلّتُنا، وجبلة البشرجميعا.) فينبغي أن نجدد النظر في هذه القضية، ونسأل نحن أيضا أنفسنا، لماذا نكتب؟(السابق:٦٠)

ويذكر أيضا: «أن في الأدب الملتزم لا ينبغي أن يُنسي الالتزام الأدب، لأنّ جهدنا في سبيل الخدمة للأدب، وهي خدمة يكون معها نفخ الروح في الأدب، وبجانب المساعي ليحاول إنشاء أدب يليق بالمجتمع، ونحن نسعى أن نخدم هذا المجتمع.» (سارتر، كامو، لوكاچ، دون تاريخ:٤٣)

ويرى نجيب الكيلاني، مؤلف كتاب عمالقة الشمال أن أدب الالتزام هو الأدب من منظور الاسلام، ويكتب في كتابه «الإسلامية والمذاهب الأدبيه» في هذا الموضوع :«نقول أن أي نشاط إنساني يجب أن يقصد به إسعاد الإنسان...

والأدب كلون من ألوان هذا النشاط يجب أن يلتزم نفس الخطة، وأن يلعب دوره الخطير من أجل إسعاد الفرد والمجموع، وهذا هو ما أقصده بأدب الإلتزام...

وبهذا الفهم المعقول يبدو لنا الإلتزام وكأنه ليس نقيضاً للحرية وعدواً لها، وإنما هو شيء منظم لها، وصمصام أمن يحرس انحرافاتها، ويبرز لها معالم الطريق... قد يسميه البعض أدباً ملتزماً... وقد يسميه الآخرون أدباً هادفاً... ونحن نسميه وجهة نظر اسلامية في الأدب.»(الكيلاني،١٩٨١: ٢٩-٣٠)

الأدب الروائي:

أحد الأنواع المؤثّرة والإبداعية في الأدب. لهذا النوع من الأدب أطر وخصائص معينة يستخدمها الكاتب في تصوير رؤيته من الحياة. التعاريف التي قدمها المنظّرون

ونقاد الأدب عن الأدب الروائي مختلفة متنوعة كسائر أنواع الأدب، لكنها جميعا يشترك معا في التأكيد على كون الرواية نثرا، وعلى البعد الخيالي فيها.

يكتب الكاتب والناقد الايراني جمال ميرصادقي في مقدمة كتابه «ادبيات داستاني» في تعريف هذا النوع من الأدب: «الأدب الروائي (fiction) يطلق على آثار منثورة ماهيّتها التخيل، وعلى الغالب يطلق الأدب الروائي على القصة، والقصص الصغيرة، والرواية والأنواع المتعلقة بها؛ بناء على هذا، لا يشمل هذا الاصطلاح الأدبي، المسرحيات الشعرية والحماسية والتراجيدية والكوميدية، بتعبير آخر لا يطلق الأدب الروائي على المنظومات الغنائية والعشقية مثل «ويس و رامين» لفخرالدين أسعد الجرجاني، ومثل «خسرو و شيرين» للنظامي الكنجوي و«الشاهنامه» للفردوسي، وتبقى هذه الآثار في دائرة الأدب (Literature) بمعناه الخاص.»(ميرصادقي، دون تاريخ:١٠)

عرّف معجم الأدب الفارسي الأدب الروائي بما يلي: «نوع من الأدب المنثور تضمّن الروايات الخيالية الإبداعية» (شريفي،١٣٩١: ١٠١) ثمّ ينقسم الأدب الروائي بناء على ما ذكر مير صادقي في كتابه إلى ثلاثة أنواع وهي: القصة، والقصة الصغيرة، والرواية.

الرواية:

الرواية هي أكثر أنواع الأدب تأثيرا وأهمّية، وأكثرها رواجا بين مختلف الطبقات في أنحاء العالم المعاصر، الرواية تركز على الحياة البشرية، وهي تعتني بعالم الباطن في الإنسان، وتبحث عن روحه ونفسه، ولأجل هذا قوبل بترحيب واسع، وشقّت طريقها في مجتمعات مختلفة.

من الصعب عرض تعريف جامع ودقيق من الرواية كسائر الأنواع الفنية بل لا يمكن ذلك، بل الاصطلاح الفرنسي "novel" يستعمل لآثار متنوعة ومختلفة يجمعها الاشتراك في أنّ جميها منثورة، وأنّها قصص، وأنّها طويلة.

والتعاريف التي ذكرت للرواية متنوعة، وكل منها جدير بالتطبيق على نوع من الرواية، منها تعريف "ويليام هزليت" (١٨٣٤-١٩١٣م) الناقد والكاتب الإنجليزي في القرن ١٩ الميلادي، حيث يقول: «الرواية قصة تمّ سردها بناء على محاكاة قريبة لواقع

حياة الإنسان وعاداته والأحوال البشرية، تعكس فيها صورة من المجتمع بأسلوب من الأساليب»(ميرصادقي، ١٣٨٩: ٢٣)

أمّا رسالة الرواية فهي إعطاء صورة من الحياة والعادات والزمان؛ فالرواية تقرير؛ و«الرواية صورة عن الحياة والتقاليد الحقيقية، وهي صورة من الزمان الذي كتبت فيه... الرواية تقرير معروف عن أشياء وحوادث تقع كل يوم بين أيدينا»(آلوت، ١٣٧٠: ٤٨)

الرواية لا تحكم، وفي الحقيقة «الرواية الجيّدة كفلم مع سلسلة من مشاهده يقوم بعرض الشواهد، ويترك الاستنتاج من العادات وأقوال الشخصيات إلى القارىء»(شوپ و لاودنمن،١٣٩٥: ٣٠) وهناك مطلب آخر وهو أنّ الرواية (novel) تختلف عن القصة، وبعبارة أخرى «هي رواية خيالية تختلف عن القصّة، وبإمكان حوادثها أن تكون في سلسلة الحوادث الطبيعية في حياة الإنسان في بيئة المجتمع الجديد.»(شوپ و لاودنمن،١٣٩٥: ٥٠)

تاريخ كتابة الرواية في الأدب العربي المعاصر

عند الناقدين للأدب العربي «يرجع التاريخ الحقيقي والدقيق لكتابة الرواية في مصر والعالم العربي إلى سنة ١٩١٣م. يعني زمن انتشار رواية "زينب" التي كتبها محمدحسين هيكل.» (سكوت،١٣٩٦: ٣٣) فهذه الرواية «من حيث الموضوع والأسلوب، ومن حيث أنه تجرأ في إدخال اللغة العامية في أثر أدبي، وكذلك من حيث الأوصاف والتحليلات النفسية، تعدّ أثرا حديثا وبديعا»(عبدالجليل،١٣٨١: ٢٩٩)

بدأ الدكتور محمدحسين هيكل كتابة هذه الرواية وهو «في باريس عام ١٩١٠م وانتهي منها عام ١٩١١، ونشرها عام ١٩١٤م، وذلك عندما كان يعدّ رسالة الدكتوراه هناك.»(الساعدي،١٩٩٩: ٥٧) وتعتبر رواية "زينب" «أول رواية فنية في تاريخ الأدب المصري الحديث، وذلك لواقعيتها وسيرها علي القواعد الفنية للرواية إلي حد كبير.»(هيكل،١٩٩٤: ١٩٨)

كتحليل عامّ يجب علينا أن نقول: «إن نشأة الرواية العربية مرتبطة بالأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية في البلدان العربية خاصة مصر التي تعدّ رائدة للعالم الإسلامي ثقافياً وفكرياً»(طه بدر،١٩٧٦: ١٩)

لنرجع قليلاً إلى الماضي، إلى عصر هيمنة الأتراك علي البلاد العربية (١٢٩٩-١٩٢٢)، ذلك العصر الذي يسميه عبدالمحسن طه بدر في كتابه «تطور الرواية العربية الحديثه□،

عصر انحطاط الأدب العربي، حيث يقول: «أصبح الأدب في حالة من السقم تقارب الموت فكانت تمثلة نماذج نثرية وشعرية، ليس وراءه أي صدق إحساس أو فنية تعبير... وقد كان أغلب النتائج الأدبية لتلك الفترة تدور حول المدائح النبوية والأمور الإخوانية والمراثي الباردة والمواعظ المباشرة»(السابق: ١٩)

ولكن هذا الإنحطاط الأدبي لم يستمر للأبد، و مع نهضةأدبية يمكن تحديدانطلاقهاب«الحملة الفرنسية خلال سنوات (١٧٩٨ إلى ١٨٠١م.) أي أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر...»(هيكل،١٩٩٤: ١٣) بدأ عصر ازدهار الأدب العربي. فكأن الحملة الفرنسية أصبحت مصداقاً للقول السائد: «العدو قد يكون سبب للنصر لو أراد الله» حيث انتبه الشعب المصري المتحضر لحضيض انحطاطهم، ووصلوا على مرّ الزمان إلي مرحلة بدأوا يفكرون في استدراك انحطاطهم، حتي حانت الساعة الموعودة.

«وقد حملت انتفاضة الشعب المصري عام ١٨٠٥م محمد علي باشا إلي الحكم. وكان عهده فاتحة تاريخ جديد لمصر والعالم العربي، حيث قام بإصلاحات مختلفة في ميادين شتي وبخاصة الزراعية والصناعية والتجارية والعسكرية والثقافية، وأعاد تنظيم جهاز الدولة»(المعلوش،٢٠١١: ٢٢)

«وقد استقدم محمدعلي ـ أول الأمر ـ الأساتذة الأجانب للتدريس في المدارس المختلفة. ونظراً لعدم معرفة هؤلاء بلغة البلاد أو معرفة التلاميذ بلغتهم، فقد استعان بالمترجمين من السوريين والمغاربة وغيرهم... وهكذا كان أول لقاء عملي بين المصريين والثقافة الغربية في العصر الحديث. وقد أنتج هذا اللقاء ثماراً طيبة؛ فقد عاد هؤلاء المبعوثون بعلم جديد وعقلية جديدة إلي بلادهم» (هيكل،١٩٩٤: ٢٧)

ومحمد علي بعد ذلك «أرسل البعثات العلمية إلي الخارج» (المعلوش،٢٠١١: ٢٢) وإرسال هذه البعثات رغم أنه كان شاملاً بعض التداعيات لدين مسلمي مصر وثقافتهم، إلّا أنها ذهبت إلي أوروبا نتيجة لتأكيدات محمد علي باشا و«عاد هؤلاء المبعوثون بعلم جديد وعقلية جديدة إلى بلادهم وترجموا أو ألّفوا وخططوا بهذا ووضعوا أساس الثقافية الأدبية الحديثة.»(طه بدر، ١٩٧٦: ٢٧)

انطلاق فصل جديد في الأدب العربي

عادت البعثات العلمية من أوروبا وصارت مصدر تطورات علمية أدبية مرموقة في مصر. ومن نتائج عودتها انطلاق فصل جديد في الأدب العربي وكان لرفاعة الطهطاوي

الأثر الأكبر في هذا المجال. «وقد كان المفكر العربي رفاعة الطهطاوي إماماً للبعثة الرسمية التي أرسلها محمد علي للدراسة في باريس في عام ١٨٢٦ إلي عام ١٨٣١م، واكتسب معرفة دقيقة باللغة الفرنسية وطالع كتباً في التاريخ والفلسفة والميتولوجيا والرياضيات والمنطق، وقرأ سيرة نابليون وبعض الشعر الفرنسي واطلع علي فولتير وكوندياك وروسو ومونتسكيو...» (المعلوش،٢٠١١: ١١٥-١١٦)

قام الطهطاوي بعد العودة بتحرير كتابه المشهور «تخليص الإبريز في تلخيص باريس» بجانب نشاطاته الأخري. الكتاب الذي «تحدث فيه رفاعة عن رحلته إلي باريس، وسجل فيه كثيراً من انطباعاته ومشاهداته، كما نقل عديداً من المعارف والنظم والقوانين التي أعجب بها في فرنسا... والذي يعتبره بعض الباحثين البذور الأولي للرواية التعليمية في الأدب الحديث... إلّا أن لرفاعة عملا آخر أكثر أهمية في هذه الناحية من ذاك الكتاب، هذا العمل هو ترجمته «لمغامرات تليماك» التي كتبها القس الفرنسي فينيلون وقد سمّي رفاعة الترجمة «مواقع الأفلاك في وقائع تليماك». ولعل الأدب العربي الحديث لم يعرف ترجمة لرواية فرنسية قبل ترجمة رفاعة لتلك الرواية... فقد ذكر رفاعة أنه قصد بترجمة تليماك: إسداء نصائح إلي الملوك والحكام، وتقديم مواعظ لتحسين سلوك عامة الناس.» (هيكل،١٩٩٤: ٣٩-٤٠)

والخلاصة أنه لا بد من اعتبار الطهطاوي فاتحاً لفصلٍ جديد في الأدب العربي، والذي «يعتبر واضع بذور التجديد في الأدب المصري الحديث، فأدبه يمثل دور الانتقال من النماذج المتحجرة التي تحمل غالباً عفن العصر التركي إلي النماذج المجددة التي تحمل نسمات العصر الحديث.» (السابق: ٤٢)

خلاصة رواية عمالقة الشمال:

إنّ رواية "عمالقة الشمال" تحكي نضال المسلمين في شمال افريقيا ضد المستعمرين الغربيين وعملائهم. وعثمان أمينو هو بطل هذه الرواية وتلميذ لشيخ كبير يسمى "أحمدو بلّو" الذي تولى القيادة الدينية الروحية لمسلمي نيجريا.

قد أغرم عثمان بفتاة مسيحية بإسم "جاماكا" من بداية الرواية، وهو يصمد أمام هذا الغرام، ولكن بعد أن أسلمت جاماكا وتُطرد من جميع الأماكن، وتقوم بدورها في مقاومة الاستعمار، يرضى عثمان أن يتزوج بها.

أما الجزء الأوفر من رواية عمالقة الشمال يقضي في السجن، والقسم الآخر يتعلق بالصلة الغرامية بين عثمان أمينو وجاماكا، وقسم جدير بالانتباه يمضي في الجولة الدعوية للشخصية الأصلية للرواية، والمجزرة، والاعتقال وتعذيب مسلمي نيجريا المقاومين، ونهاية جهادهم وكفاحهم ضد المستعمرين وعملائهم.

تحليل هيكل الرواية (عناصر الرواية ومحتواها):

يقوم الكيلاني في «عمالقة الشمال» مستخدما رؤية الشخص الأول في بيان قصة تطورات كفاح الشعب النيجري من سنة ١٩٦٥م إلى ١٩٧٠م. كما يتكلم في كتابه عن نزاع بين المسيحيين والمسلمين في نيجريا كان للمستعمرين الغربيين يد في إشعاله. يذكر الكيلاني في كتابه كثيراً الآيات القرآنية ويفسرها ويشرحها على لسان شخصيات الرواية. يبدأ روايته بتعريف «عثمان أمينو» الشخصية الأصلية للقصة المذكورة من لسانه، وذكر الفرق الأساسي بين الإسلام والغرب، وما أحدثه الغربيون في المجتمعات الإسلامية من مشكلات، خلال الحوارات المحورية للشخصية الأصلية للرواية منذ البداية، لتدل على أن نجيب الكيلاني جعل الاهتمام إلى هذا المبحث من أبرز أهدافه من كتابة مثل هذه الرواية.

الموضوع:

موضوع قصة عمالقة الشمال حكاية عن جهاد الشعب النيجيري المسلم وكفاحهم من أجل الدفاع عن دينهم وعقيدتهم خلال السنوات ١٩٦٥ إلى ١٩٧٠م وكذلك استعراض ودراسة لمؤامرات الاستعمار الصليبي ومكائدهم للعالم الإسلامي عامة وللشعب النيجيري المسلم خاصة.

قام نجيب الكيلاني رائد الرواية الإسلامية في كتابه عمالقة الشمال مستلهما من الواقع بتصوير وقائع مولمة من الحروب الدامية التي وقعت بين المسلمين المستضعفين والقبائل النصرانية الشرسة في نجيريا، والتي كان يقتل فيها المسلمون الأبرياء ويبادون ويحرقون على أيدي القبائل النصرانية المدعومة من قبل الجماعات التبشيرية التابعة لدولة بريطانيا والمحتلين الصهاينة، وفي النهاية يواجهون هزائم مستنكرة أمام النضال الحماسي والبطولي لأبطال الشمال.

الفكرة الرئيسة:

إنّ الفكرة الرئيسية في كتاب عمالقة الشمال، هي فكرة سياسية إجتماعية، نجيب الكيلاني الذي يختار في أكثر آثاره الرؤية الإسلامية الحقيقية، يخوض في عمالقة الشمال مستلهما من الواقع بتصوير قوة إرادة الشعب في ضوء وعي القادة المؤمنين، والمصلحين الربانيين، الشعب الذي يضحي أبنائه بأرواحهم، وينجحون في إنقاذ بلادهم من التقسيم والانهيار والتفكك.

إضافة إلى احتواء كتاب عمالقة الشمال الفكرة السياسية يشتمل على الفكرة الأخلاقية أيضا، والكاتب كما يبدو لديه معرفة تامة بالمفاهيم القرآنية، يسرد في مواضع مختلفة من روايته رسائل أخلاقية كثيرة من ألسنة شخصيات الرواية.

كما يُظهر المؤلف بأنه مسيطر على المفاهيم القرآنية، هكذا كتابه مشتمل على المطالب الأخلاقية التي سردها عن الشخصيات المذكورة في الكتاب، والفكرة الأخرى التي حاول أن يقدمها في كتاب عمالقة الشمال أنه لا منافاة بين العشق والتمسك بالدين الإسلامي، فعثمان أمينو الشخصية الأصلية للقصة مع أنه مسلم متمسك بدينه علمياً وعملياً ودعوياً، ومبلغ له ، لكنه يبتلى بالعشق، ومعنى هذا أن الكاتب يريد أن يقول: الحبّ لا ينافي التمسك بالإسلام، خلافا لمن يرون أن المسلم المتلزم الذي يشتغل بتبليغ الدين، يجب أن يكون بعيدا عن هذه الأمور.

الحبكة وبدء الرواية:

تستخدم رواية عمالقة الشمال الحبكة المفتوحة، يتغلّب النظم الطبعي للحوادث على التصنّع والتقيّد فيها.

«إسمي عثمان أمينو انحدرت من قبائل الفولاني في شمال نيجريا، يقال: إن قبائلنا أتت مهاجرة من صعيد مصر في قديم الزمان...» (الكيلاني، ٢٠٠٥: ٥)

ويقول: «وفي نهاية القرن الثامن عشر ظهر لنا زعيم مشهور في التاريخ إسمه "عثمان دان فوديو"، استطاع أن يوحد قبائلنا ويجعل لها جيشاً جباراً تخفق فوقه ألوية الاسلام...» (نفس المنبع: ٥)

هكذا يبين الكاتب النقطة المحورية بأن صاحب هذه القصة وأفراد قبيلته من المسلمين، ويحملون العقيدة الإسلامية.

ثم يواصل الراوي روايته ببيان خصائص المدن الشمالية بنيجيريا، ويقول: قسمت هذه المدن إلى ناحيتين:الناحية الأولى ناحية قديمة تحكم فيها الآداب الإسلامية وتقاليدها، ولا توجد فيها شذوذات أخلاقية ولا انحرافات فكرية، والناحية الثانية هي ناحية جديدة يسكنها الأجانب، ووفّروا أسباب العيش والمعيشة فيها، يريد نجيب الكيلاني ببيان هذه النقاط في بداية القصة أن يتكلم عن عقيدتين وفكرتين يوجد بينهما تضاد واختلاف كبير، كما يوجد بينهما صراع شديد، وفي الحقيقة تعد دراستهما الفكرة الرئيسية للرواية. الفكرة الأولى: هي الفكرة الإسلامية التي شعارها الحرية وحفظ كرامة الإنسانية وصيانتها. والفكرة الثانية:هي الفكرة الاستعمارية الصهيونية التي يحملها الصليبيون ضدّ المسلمين لتفريقهم وتشتيت شملهم. وفي السطور القادمة يبين الكاتب بلسان الراوي بأنه غير متزوج، ولعدم تزوجه أيضا قصة رائعة أخرى، ونظرا إلى أنه رجل متدين ولا يعجبه الكتمان، سيحكي القصة بنفسه، ثم يجري تعريف جميع وقائع القصة في قالب القصة الرائعة لعدم تزوج الشخصة الأصلية للرواية، هذه القصة الرائعة، هي غرام عجيب بين الشخصية الأصلية للرواية مع فتاة نصرانية، وهكذا يطرح المؤلف في بداية حبكة قصته هذا السؤال أمام القارئ: هل يصل العاشق إلى معشوقه؟ وفي ضوء هذا السؤال يخوض في بيان الوقائع الأصلية للرواية.

إيجاد العقدة:

إنّ الراوي قد أوجد في رواية عمالقة الشمال عُقدا زادت من بسط حبكة القصة، ونشير فيما يلي إلى شرح بعض العقد:

-العقدة التي تتأتّى في طليعة الرواية باجتماع بطل القصة عفويا مع فتاة غيرمسلمة تدعى جاماكا في السينما. ودبّ حب كل منهما في قلب الآخر، ويحدث هذا الغرام في ظروف أصبح عثمان مسلما مواظبا على الشريعة الإسلامية، وبالتالي يرى التزوج من فتاة يظنها عابدة للأصنام، محالا «أنا لا أتزوج من وثنية... هذا محرم شرعاً...»(الكيلاني، ٢٠٠٥: ١٥) وهو يعتبر هذا الغرام المفاجئ ابتلاء من جانب الله تعالى. «وفي نيجيريا الشمال ملايين الفتيات يعشن محجبات في الحفظ والصون، ويعبدن الله، ويلتزمن بالفضيلة، فلماذا لم أفكر في واحدة منهنّ... أليس من العجب أن يميل قلبي «لجاماكا» بالذات... هذا امتحان وبلاء من الله»(السابق:١٩)

-العقدة التي يتم عقدها خلال الرحلة الدعوية الأولى لـ عثمان أمينو وصديقه عبد الرحيم إلى مناطق شرقي نيجيريا عند مواجهة أسقف يدعى البابا تام. البابا توم تبشيري متعصب ويعتقد أن «الإسلام دين السوقة ورعاة الإبل والغنم... إنه يخدع ضعاف العقول...»(الكيلاني،٢٠٠٥: ٥٢) عندما يشاهد تأثر الناس بـ عثمان وصديقه يتصنع بالسلم فيتخذه طريقا له في بداية الأمر، ويطالبهم بمغادرة المنطقة، ولكنه حينما يرى إصرارهما في المكوث يدخل من باب المؤامرة ويصل الأمر إلى أنه يستأجر رجلا ليغتال عثمان، العراك بين عثمان والأسقف توم يوسّع العقدة.

-العقدة التي تحدث جراء وفاة أحمد بيللو ووقوع مقاليد الحكم في أيدي الإنقلابيين، مما يضيّق الخناق على المسلمين شرقي نيجيريا من يوم لآخر«وعدت أخيراً إلى مدينتي التي يوشّحها الأسى العميق، يمطرها الحزن، وتعصف بها موجات الوجوم عدت إلى شمال نيجيريا، حيث الرجال العمالقه يمضون منكسي الرؤوس، كسيري النظرات، والغيظ المكتوم.»(السابق: ٦٩) تتوسع هذه العقدة مع دخول عثمان وجماعة من أصحابة كالشيخ عبد الله في السجن.

إن حياة نجيب الكيلاني كانت حافلة بتطورات ويمكن تحريها من خلال آثاره وكتاباته، الكيلاني من الكتاب الذين بحثوا في ظلمة السجون عن فرصة للإبداع. وهو كاتب إسلامي قد أقلقته أوضاع مسلمي العالم وسلبته سكونه دافعة إياه نحو سرد الروايات.

الصراع أو النزاع:

في رواية عمالقة الشمال الصراع الرئيسي مستمرّ بين الفكرة الإسلامية والفكرة الاستعمارية، وهو المحطة التي تبرز مع انطلاق الرواية «والمدن عندنا في شمال نيجيريا تنقسم إلى قسمين، القسم القديم وفيه تسيطر التقاليد الإسلامية، والآداب المرعية، ويلتزم الناس رجالاً ونساء بأخلاقيات لا تسمح بالإنحراف والتحلل، أما القسم الآخر للمدينة، فهوالأحياء الجديدة... وفيها يقيم الأجانب وتنشر الملاهي وتتوارى في شوارعها ـ والعياذ بالله ـ بيوت الدعارة والعبث وحانات الشراب... فالمدينة كما يقول أحد الفسقة قسمين بين الله والشيطان.»(الكيلاني، ١٩٨١: ٥)

إن الصراع الأساسي في رواية عمالقة الشمال في الحقيقة عقائدي، وتدور عليه أحداث الرواية كافّة، وهذا هو مردّ الاقتتال والعراك بين قبائل "إيبو" غير المسلمة المدعومة من الاستعمار الغربي، وقبائل"هوسا" المسلمة القاطنة في شمالي نيجيريا. ومشادة عثمان أمينو الشخصية الأصلية للرواية مع البابا توم الأسقف الناشط في قرى شرقي نيجيريا، والتي تعد مشادة لفظية، وكادت أن تؤدي إلى مشادة جسمية بينهما، لها جذور في هذا الصراع المحوري في الرواية. «نظر إلى عبدالرحيم في إشمئزاز وقال: الفارق الحضاري بيني وبينكم يمتد إلى قرون... ثم استطرد في برود: لقد جئنا هنا لنعلمكم كل شيء... الصناعة والزراعة والجغرافيا... والدين... نحن أساتذة... تلك هي الحقيقة... تدخلت قائلا: من الشرق ظهر المسيح... وفي الجزيرة العربية ولد محمد... وفي مصر ولد موسي... زادكم عندنا... ومع ذلك فإن البحث عن الحقيقة قضية أخرى لا تتعلق بقوتكم... هذا ما أفهمه...»(الكيلاني، ١٩٨١: ٥٨)

الصراع بين الفردين الذي يقع بين جاماكا والدكتور هانيمان المسيحي بعد قبول جاماكا الإسلام ناشئ عن هذا الصراع العقائدي ولا غير. ويمكننا الاستنتاج إلى أن الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الاستعمارية يشكل المحور الرئيسي في رواية عمالقة الشمال، وهذا ما جعله الكاتب أساسا لروايته، وبحث جذورها.

تعليق القارىء (المخاوف):

التعليق الأصلي والمؤثر في القصة الذي يمتد من بداية رواية عمالقة الشمال إلى نهايتها، يعود إلى غرام عثمان أمينو وجاماكا؛ لأن القارئ يظل حريصا على معرفة نهاية القصة منذ البدء فيها متسائلا: هل يتزوج عثمان أمينو المسلم من جاماكا وهي فتاة مسيحية؟ وهل يتزوج عثمان أمينو المسلم من فتاة مسيحية وهو يرى غرامه بها معصية وابتلاء، إلا أنه يجب الاعتراف بأنّ اعتناق جاماكا للإسلام يخفف من مخاوف القارئ ويجعله يتكهّن أنهما سيتزوجان.

والتعليق الفرعي في القصة يتعلق برحلة عثمان الدعوية التي تشقّ مستنقعات وغابات في "إيبو" شرقي نيجيريا. حيث يلتقي مع أناس ليسوا مسلمين ومن المحتمل أن يقضوا عليه وعلى صديقه عبد الرحيم في كل حين، رحلتهم كانت إلى منطقة طرد منها الدعاة والمبلغون، والموت يرصد كل من يدخلها للدعوة إلى الدين، والقارىء من البداية

التي يقول الرواي «إن إختراق الغابات الاستوائية أمر مثير للغاية، الضرب في جنباتها يكمن في طياته لموت...»(الكيلاني،١٩٨١: ٣٩) تعتريه المخاوف بشأن بطل القصة وصديقه، ويصحبهما قلقا مضطربا في الغابات المظلمة الموحشة شرقي نيجيريا خطوة خطوة، ويتوقع كل لحظة وقوع حادثة مؤلمة.

الأزمة:

«سقط أحمدو بيللو للأبد...»(الكيلاني، ٢٠٠٥: ٦٥) نقطة انطلاق الأزمة الرئيسة في رواية عمالقة الشمال تبدأ مع حادثة تؤديها هذه الجملة القصيرة للبابا توم الأسقف المسيحي. الحادثة التي تتشكل جانبا مهما آخر في رواية عمالقة الشمال. تلك الحادثة الأليمة التي تحول دون اكتمال رحلة عثمان أمينو الدعوية، والحادثة هي أن أحمد بيللو وزوجه يقتلان بشكل مروع ويتمّ إحراق جسديهما. ينطلق عثمان أمينو وصديقه عبد الرحيم نحو الشمال بقلق واضطراب. «سنرحل على الفور... فليصيبنا ما يصيبهم... ولنحمل من الآلام ما يحملون...»(السابق:٦٦) يصلان إلى مدينتهما سوكوتا التي خيمت عليها الأحزان والمآتم.

الذروة (نقطة الظهور):

نقطة الظهور في رواية عمالقة الشمال تحصل حينما يقوم قائد الجيش إيرونسي بمساعدة جوكوما وبعض الضباط الآخرين الذين يصفهم الكيلاني بشرطة الشغب – بالتخطيط لمؤامرة، وينقلبون على النظام النيجيري بدعم من المستعمرين الأجانب، وينجحون من السيطرة على مقاليد الحكم لمدّة. هذه المؤامرة هي التي أدت إلى استشهاد أحمد بيللو وزوجه، وعلى إثرها يستولي ايرونسي قائد الجيش في شمال نيجيريا على كلّ شيء. وبعد هذه الحادثة تقع سلسلة أحداث الرواية واحدة تلو الأخرى.

حلّ العقدة:

العقدة الأولى في القصة تُحلّ باعتناق جاماكا الإسلام. عندما يسمع عثمان هذا الخبر من لسان جاماكا يصير متحيرا، ويعدها هناك بالتزوج بعد التحرر من السجن. «فقلت: أجل... سنتزوج عندما يفك الله أساري...»(الكيلاني،٢٠٠٥ :٨٧)

العقدة التي عقدت في الرحلة الدعوية الأولى لعثمان وصديقه عبد الرحيم في شرقي نيجيريا عند مواجهة أسقف، تحل هذه العقدة مع ذهاب أو حسب تعبير الكيلاني "فَقْد

الأسقف" من القرية التي كان ينشط فيها. «وصاح توم بأعلى صوته: الثورة يديرها رجال الإيبو... تذكر يا عثمان وبقاءك هنا معناه الموت... يجب أن ترحلوا فوراً واختفى توم»(السابق:٦٥)

العقدة التي وجدت إثر وفاة أحمد بيللو وتقلد الانقلابيين الحكم واعتقال عثمان أمينو وأصحابه، تنحل مع أسر إيرنسي قائد الشاغبين وتحرر عثمان والعمالقة الآخرين من سجن الشمال. «سمعت ذلك بأذني من الراديو... لقد قبض الثوار على ايرونسي والمتمردين الخمسة المعروفين... الدماء تسيل في الشوارع... قائد السجن شحب وجهه وهرول إلى سيارته وانطلق لا ندري إلى أين...»(السابق:١١٨)

زاوية الرؤية:

في رواية عمالقة الشمال زاوية الرؤية داخلية، وتحكى القصة بأسلوب الشخص الأول من لسان بطلها. «إسمي عثمان أمينو» انحدرت من قبائل «الفولاني» في شمال نيجيريا...(الكيلاني،٢٠٠٥: ٥)هذا هو الأسلوب الغالب للكاتب في وضع هذه الرواية. ولكنه يعرف شخصايات روايته في بعض المواضع من زاوية الشخصيات الفرعية للرواية، كما يكتب على لسان نور: «أنا أشرب... وأعاشر النساء وأقضي أوقاتاً ممتعة في السينما... الجميع يعرفون ذلك...»(السابق:٧) ويكتب عن جاماكا بلسانها: ««في غابات الجنوب كنت وأنا صبية أجري عارية... لم أكن أجد غريباً يفد إلينا إلا وأهرول اليه... ويوم أن عملت كخادمة لدي بعض الراهبات شعرت بسعادة قصوى...»(السابق:١٧)»

الشخصيات:

إن دور المرأة ضعيف من حيث العدد في رواية عمالقة الشمال، ولكن من حيث القيام فلها دور مؤثر . جاماكا هي فتاة مسيحية تعتنق الاسلام في منتصف الرواية وتغيّر اسمها إلى سعيدة. وهي الشخصية التي تذكر مقابل بطل القصة عثمان أمينو.

جاماكا/سعيدة وعليّة هما الشخصيتان الوحيدتان اللتان يذكرهما الكاتب بإسمهما. والكيلاني يشير إلى النساء الأخرى اللاتي لهن دور مؤثر في الرواية بالعناوين الكلية مثل العجوزة الثرية، والراهبات.

على كل المرأة حاضرة بجنب الرجل في آثار الكيلاني، وتصر على أفكارها، وتسعى في تحقيق أهدافها وقيمها بحيوية ونشاط. أما الشخصيات الأخرى في الرواية كلهم رجال ويزيد عددهم الثلاثين.

نهاية الرواية:

نهاية رواية عمالقة الشمال نهاية سعيدة حيث يغلب أبطال شمال نيجيريا على مؤامرات الأجانب التي خططوها ضد الشعب النيجيري المظلوم، ويسود البلاد الأمن والسلام. «لقد عاد الصفاء والهدوء والسلام برغم كل ما حدث، وخرج أبناء نيجيريا في الشمال والجنوب... في الشرق والغرب يغنون ويرقصون ويمرحون... ينشدون للسلام والوحدة والحرية أناشيد شجية تأخذ بمجامع القلوب، وتبهر الآذان والقلوب!!»(الكيلاني،٢٠٠٥: ١٥٥) ويتوفر العيش للمسلمين والمسيحيين معا دون أي تصعيد«...وأجراس الكنائس تدق، والمآذن ينطلق منها الصوت الحبيب "الله أكبر... ألله اكبر"...»(السابق:١٥٥)

يتكلم عثمان أمينو وجاماكا عن المستقبل وعن زواجهما وأولادهما «سيكون أبناؤنا أسعد حالاً منا... وسندعو إلى الله في كل بقعة تطؤها أقدامنا...»(السابق:١٥٧)

الكلمات الأخيرة من الرواية هي حوار يتبادل بين عثمان أمينو وجاماكا يدور حول التوحيد وأهمية الدعوة إليه والعشق والرجاء والصدق «نحن الدعاة إلى الله... طريقنا الحب الطاهر بكل ألوانه الباهرة... غذاؤنا الأمل... وطريقنا يمتد إلى بعيد... لا يقطعه الموت، أو تطمسه العواصف... فالركب السائر إلى الله في صدقٍ لا يضل الطريق...»(السابق:١٥٧)

نجيب الكيلاني، حياته وآثاره

نجيب الكيلاني هو: «أحد أغزر الروائيين الإسلاميين المبدعين، جمع بين التنظير والتطبيق في مجال الأدب الإسلامي قصةً وروايةً ومسحرحيةً وشعراً ونقداً، وهي الميزة التي لم تجتمع لأي أديب وروائي عاصره أو سبقه بهذه الكمية والوفرة حتي أعتبر أبا الرواية الإسلامية... كان الدكتور نجيب الكيلاني مصرياً مولداً، وطبيباً مهنة وإسلامياً فكراً ومشرباً، وكان عصامياً وأديباً مكافحاً، وكاتباً متنوع الإنجازات، وقد أعطاه الله عزماً لا يجوز، فقد كتب وأبدع حتى في ظلمات السجن وفي غمرات اليأس. ولم يكتب

عن مصر التي ولد على أرضها فقط بل عن المسلمين في أقصاع الأرض. وهو الروائي العربي الوحيد الذي تجاوز بلاده والعالم العربي، وكتب روايات عن المسلمين المظلومين في أندونيسيا وتركستان ونيجريا والحبشه.

ولد الدكتور الكيلاني في قرية شرشابه التابعة لمحافظة طنطا في مصر في أول حزيزان/ يونيو سنة ١٩٣١م. وبدأ دراسته في مكتب تحفيظ القرآن الكريم في الرابعة من عمره، ثم التحق بمدرسة الإرسالية الأمريكية الإبتدائية في قرية سنباط، ونال الثانوية الزراعية بطنا، ونشر أول مجموعة شعرية وهو في السنة الرابعة الثانوية تحت عنوان «نحو العلاء» ثم انتسب إلى كلية طب القصر العيني بجامعة القاهرة، ولكنه اعتقل في السنة النهائية بالكلية عام ١٩٥٥م. في عهد عبدالناصر. واكتوي بنار العذاب والاغتراب، وقضى في السجون عشر سنوات.

وهنا في غياهب السجن جمع ديوانه الشعري «أغاني الغرباء»، ثم كتب روايته الأولى «الطريق الطويل» ففازت بجائزة وزارة التربيه... وأخرج عنه في منتصف ١٩٥٩م. بعفو صحي فعاد إلى الكلية وأكمل تعليمه الطبي، واشتغل بالمستشفيات المصرية، ثم اعتقل ثانية سنة ١٩٦٥م. وبعد أن خرج من السجن غادر الكيلاني إلى دبي حيث عمل بها مديراً للتثقيف الصحي بوزارة الصحة بدولة الإمارات العربية... وبعد التعقاعد عاد إلى مصر ليدبج ويبدع في الفكر والأدب الاسلامي والرواية التاريخية حتي وافته المنية في عام ١٩٩٥م.

بلغت مؤلفات الدكتور الكيلاني نحو ثمانين مؤلفاً من رواية وقصة ومسرحية وترجمة ذاتية وغيرية ودراسات أدبية. واعترف أساتذة الفن ونقاد الأدب أن مؤلفات الكيلاني تتمتع بقوة أدبية وحيوية كبيرة. وأبرز خصائص هذا الكاتب الفقيد أن أكثر آثاره مصطبغة بصبغة إسلامية.

وترجم عدد من آثاره إلى لغات أجنبية كالإيطالية والإنجليزية والروسية والافغانية والأردية.» (القاسمي والعمري، ٢٠٠٨: ٢١١-٢١٣) وترجم أيضا بعض آثاره إلى اللغة الفارسية.

النتيجة:

الكاتب الطبيب والشاعرالمصري نجيب الكيلاني (١٩٩٥-١٩٣١م) يعدّ من طلائع الأدب الإسلامي المعاصر، وكتاب رواية «عمالقة الشمال»الذي ترجم إلى الفارسية

باسم: «قهرمانان شمال» من آثاره الرائعة القيمة. يروي كيلاني في كتاب «عمالقة الشمال» من زاوية رؤية الشخص الأول، التقلبات التي واجهها المسلمون أثناء حرب نيجريا من سنة١٩٦٥إلى سنة ١٩٧٠م. يمرّ شطر كبير من رواية عمالقة الشمال في السجن، كما يتعلق قسم مهم منه برحلة الشخصية الأصلية للرواية، وقسم آخر مرتبط بلعلاقات الغرام والحب بين الشخصية الأصلية للرواية الذي هو شابّ مسلم ينتمي إلى قبائل هوسا المسلمة يسكن شمالي نيجيريا، وبين فتاة مسيحية تنتمي إلى قبائل إيبو الوثنية التي تسكن شرق نيجريا، حيث تعتنق الفتاة الإسلام في نهاية القصة- وتتزوج مع الشخصية الأصلية للرواية.

يدور موضوع رواية «عمالقة الشمال» حول جهاد مسلمي نيجريا ودفاعهم عن عقيدتهم ودينهم، كما تدرس جيدا مكائد المستعمرين الصليبيين والصهاينة ومخططاتهم ومؤامراتهم ضد المسلمين بصفة عامة وضد مسلمي نيجيريا بصفة خاصة، وللدكتور نجيب الكيلاني إشارة رائعة في هذا المجال وجولة مناسبة في هذه الميادين. أما الفكرة الرئيسة السائدة في رواية عمالقة الشمال فكرة سياسية اجتماعية، ونجيب كيلاني الذي يختار في أكثر آثاره الرؤية الإسلامية الحقيقية، يخوض في عمالقة الشمال مستلهما من الواقع بتصوير قوة إرادة الشعب في ضوء وعي القادة المؤمنين، والمصلحين الربانيين، الشعب الذي يضحي أبنائه بأرواحهم، وينجحون في إنقاذ بلادهم من التقسيم والتفكك.

إضافة إلى احتواء كتاب عمالقة الشمال الفكرة السياسية يشتمل على الفكرة الأخلاقية أيضا، والكاتب كما يبدو أن لديه معرفة تامة بالمفاهيم القرآنية، يسرد في مواضع مختلفة من روايته رسائل أخلاقية كثيرة من ألسنة شخصيات الرواية.

تستخدم رواية عمالقة الشمال الحبكة المفتوحة في سرد الأحداث، والتي يتغلب النظم الطبعي للحوادث على التصنع والتقيد فيها، كما أنّ الراوي أوجد في رواية عمالقة الشمال عُقدا زادت من بسط حبكة القصة، والصراع الرئيسي في رواية عمالقة الشمال مستمرّ بين الفكرة الإسلامية والفكرة الاستعمارية، ونهاية رواية عمالقة الشمال نهاية سعيدة حيث يغلب أبطال شمال نيجيريا على مؤامرات الأجانب التي خططوها ضد الشعب النيجيري المظلوم، ويسود البلاد الأمن والسلام، في رواية عمالقة

الشمال زاوية الرؤية داخلية، وتسرد الحكاية بأسلوب الشخص الأول من لسان بطلها، و دور المرأة إن كان ضعيفا من حيث العدد، لكن لها دور مؤثر من حيث القيام بالدور، فجاماكا هي فتاة مسيحية تعتنق الاسلام في منتصف الرواية وتغير اسمها إلى سعيدة، أما الشخصيات الأخرى في الرواية فكلهم رجال وعددهم يزيد الثلاثين.

بالنسبة إلى البني الدلالية للرواية، فبإمكاننا أن نستنتج أنّ أهم عنصر البنية التحتية الذي استخدم في رواية عمالقة الشمال يعود إلى قضية الاستعمار وتبعاته على البلدان المستمعرة، والكيلاني بتصوير شخصية "البابا توم" إذ قام بتبيين نشاطات المؤسسات التبشيرية في القارة السوداء وأهداف المبشرين وخططهم في الحقيقة وضعت البنية التحتية لرواية عمالقة الشمال على هذا الأساس. ويتحدث الكاتب عن التضاد والتقابل والاختلاف بين فكرتين مختلفتين، الفكرة الأولى: هي الفكرة الإسلامية التي شعارها الحرية وحفظ كرامة الإنسانية وصيانتها. والفكرة الثانية: هي الفكرة الاستعمارية التبشيرية الصهيونية التي يحملها الصليبيون ضدّ المسلمين لتفريقهم وتشتيت شملهم.

Abstract

It should be said about the birth of Arabic novel that it is entangled with the political, social and cultural circumstances of Arabic countries, especially Egypt. According to literary critics, the beginning of writing novel in Egypt and the Arab world is 1913, i.e. the year in which the novel of “Zainab” of Mohammad Hossain Haykel was published. Najib Kilani, poet, literary critic and one of the modern inventive Egyptian novelists, has authored the most Arabic – Islamic novels.

In this dissertation, first of all, infrastructure and superstructure elements have been defined. Then these elements have been looked up and analyzed in the novel. This research is important and essential because it paves the way for reader to get familiar with the intellectual world of the author more and better by focusing on the presented issues and feel well the effect of the socio-political conditions of that time in the above-mentioned novel. The method of research is descriptive-analytical with the use of librarial sources and tools. It has been strived to answer this main and general question that what is the status of the novel “The Heroes of the North” of Najib Kilani in the Muslim world according to superstructure and infrastructure? The result of the research shows that

the writer begins the story from the first person angle of view with introduction of "Othman Amino", the hero of the novel, and in his own words. The most part of the novel is in prison. The topic of the novel is about the struggles of Nigerian Muslims - 1965 to 1970 - against Crusader-Zionist colonialists' plots against Nigerian Muslims. Apart from political motif, the novel of the Heroes of the North has a moral motif, too and the writer states many moral messages by the characters of the fiction. This novel is based on open plot and the natural disposition of its events prevail its artificial and conventional disposition.

Keywords : Najib Kilani , heroes of the north , structure, novel , contemporary Arabic literature

قائمة المصادر والمراجع

١ - آلوت، ميريام(١٣٦٨) **رمان به روايت رمان نويسان**، ترجمة علي محمدحق شناس، تهران: نشرمركز.

٢- ترجاني زاده أحمد(١٣٤٨) **تاريخ أدبيات عرب**، تهران: خورشيد.

٣- الساعدي، حاتم (١٩٩٩) **محاضرات في النثر العربي الحديث**، بيروت: مؤسسة العارف للمطبوعات.

٤- سكوت، حمدي(١٣٩٦) **رمان عربي**، ترجمة عظيم طهماسبي،تهران: نيلوفر.

٥- سارتر، ژان پل(١٣٤٨) **ادبيات چيست؟** ترجمة أبي الحسن النجفي ومصطفى الرحيمي، تهران: كتاب زمان.

٦- سارتر، ژان پل وآلبر كامو وگورکه لوكاچ(دون تاريخ) **ادبيات وانديشه**، ترجمة مصطفى الرحيمي، تهران : كتاب زمان.

٧- الشريفي، محمد(١٣٩١) **فرهنگ ادبيات فارسي**، تهران: معين و فرهنگ نشرني.

٨- شوپ، باربارا ولاودنمن، مارگات(١٣٩٥) **انديشههاي نو در رمانٰنويسي**، تهران: نشرني.

٩- طه بدر، عبدالمحسن (١٩٧٦) **تطور الرواية العربية الحديثة**، قاهرة: دارالمعارف.

١٠- الكيلاني، نجيب (١٩٨١) **الإسلامية والمذاهب الأدبية**، بيروت: مؤسسة الرسالة.

١١- ..... (٢٠٠٥) **عمالقة الشمال**، قاهره: كتاب المختار

١٢- المعلوش، سالم (١٩٩٩) **الأدب العربي الحديث**، بيروت: دارالنهضة العربيه

١٣- ميرصادقي، جمال (دون تاريخ) **ادبيات داستاني**، تهران: ماهور.

١٤- ميرصادقي (١٣٩٠) **راهنماي رمانٰنويسي**، تهران: سخن.

١٥- ميرصادقي (١٣٦٤) **عناصرداستان**، تهران: انتشارات شفا.
١٦- ندا، طه (١٩٩١) **الأدب المقارن**، بيروت: دارالنهضة العربية.
١٧- ندوي، واضح رشيد (٢٠٠٩) **أعلام الأدب العربي في العصر الحديث**، لكنهو: دارالرشيد.
١٨- هيكل، أحمد (١٩٩٤) **تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع إلى قيام الحرب الكبرى الثانية**، قاهرة: دارالمعارف.